بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الفكر الإسلامى والفكر المعاصر

هذا البحث جهد متواضع لإبراز الفكر الإدارى الإسلامى وما يحتويه من فلسفة ومن منهاج متكامل لتسيير دفة الإدارة فى المجتمع الإسلامى - ولعله من دواعى سعادة المرء أن يلحظ هذا الاهتمام بدراسة الفكر الإسلامى فى شتى مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والذى بدأ بحركة اليقظة الفكرية التى قادها منذ أواخر القرن الماضى رواد الإصلاح الاجتماعى الإسلامى كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ثم انتكست فترة من الزمان أيام ازدهار الاستعمار الغربى للدول الإسلامية، ثم عاودت النشاط بعد انحسار الاستعمار ونيل كثير من تلك الدول استقلالها السياسى.

الفكر المعاصر

وتهدف هذه الحركة إلى الكشف عن سمو الفكر الإسلامى ونشره بأسلوب حديث وبفلسفة جديدة تهدف إلى إبرازه كفكر شامل جامع يستهدف صلاح أحوال البشرية فى سائر شئونها فى الدنيا.

إن بعض المفكرين الذين كتبوا فى الفكر الإسلامى فى مجالاته المختلفة انطلقوا فى كتاباتهم من ردود الفعل للأفكار المعاصرة التى اجتاحت البلاد الإسلامية من العالم الغربى وراحوا يبعدون التهم الملصقة زورا وبهتانا على الإسلام من أنه منهاج رجعى لا يصلح للتطبيق العملى فى عصرنا الحاضر. ولعلنا نلتمس لهم العذر فى ذلك، فقد مرت على الفكر الإسلامى فترات من الركود فى عصور الانحلال والتبعية طمست كثيرا من معالمه وقيمه الإنسانية ومقدرته على مسايرة الزمن، وزعزعت ثقة معتنقيه فى أنه عقيدة ومنهاج حياة ثابت يتحدى الزمان والمكان.

لقد شاء القدر أن تغزى الدول المسلمة بأفكار شرقية وغربية تدخل على أفكارنا بمبادئ جديدة وبمذاهب جديدة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع، ولئن صلحت للبيئات الأصيلة لتلك المذاهب فإننا يجب ألا نستقبلها استقبال الفكر الصالح

لإسلامنا. ولكن الفرد المسلم تقبلها بحسبانها أفكارًا جديدة لأنه ليس لديه من خلفية الإسلام ومن فكر الإسلام ما يستطيع أن يستقبل به أى فكر مستورد. ولو أنه كان على بصيرة بدينه وإسلامه لما احتاج إلى أن يتطلع إلى فكر جديد ليعتنقه أبدا. فالفكر البشرى مهما سما حين يرتقى بخاطر يخطر فى الرأس إلى عقيدة تستقر فى القلب إلى فكر يدعى له وتدبج فيه الكتب والمراجع هو فى واقع أمره فكر قاصر، وغير صالح لإدراك حقائق الخير دفعة واحدة. ولو كان الفكر البشرى صالحا لإدراك الكمال دفعة واحدة لما استدرك فكر على فكر، ولما جاء فكر لينسخ فكرا آخر ولما جاء مبدأ ليهدم مبدأ آخر ساد فترة من الزمان[1].

الفكر الإسلامى من الله

ولكن الإسلام ليس من صنع فكر البشر، فهو من وضع الحق سبحانه وتعالى، والحق هو الخير المطلق والكمال المطلق، وحين يعرض فكرة من فكر الخير للبشرية فإنه يعرضها عرض العالم أولا وعرض الحكيم ثانيا وعرض القادر ثالثا لأنه خلق الكون والإنسان فهو إذ يقنن لذلك يقنن بالكمال المطلق الذى لا يستدرك عليه أبدا. ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

إذن فما أغنانا أن نضع الإسلام والفكر الإسلامى أمام فكر معاصر من اجتهاد البشر لنقارنه به. ذلك لأن معنى جعل الفكر البشرى مقابلا للإسلام لنقيم مقارنة بينهما أننا رفعنا الفكر البشرى إلى مرتبة الفكر الربانى، ولا يسعدنا فى هذه المقارنة أن ينتصر الإسلام على الفكر البشرى لأن انتصاره على فكر بشرى لا يعطيه ميزة جديدة كان يفتقدها. غير أن منطلق الحياة التى نعيشها والنظم التى تحكمنا والأفكار الغربية التى غزتنا ووسائل إعلامها ودعايتها ونشرها التى تهيأت لها من جهة وخلو أذهان ونفوس المسلمين من معرفة معدن الإسلام من جهة أخرى هى التى اضطرتنا إلى أن نقارن بين الإسلام والفكر المعاصر ثم ننعت الفكر الإسلامى بنعوت هى فى الواقع من صميم معدنه ولكنا نعزوها للأفكار المعاصرة، فنقول مثلا إن الإسلام اشتراكى الاقتصاد

---

(١) راجع كتاب قضايا إسلامية للأستاذ محمد متولى الشعراوى -دار الشروق- الطبعة الأولى ١٩٧٧ - ص١٧، ١٨.

أو ديمقراطى الحكم والمنهج أو إن الإدارة فى الإسلام أقرب إلى حركة العلاقات الإنسانية منها إلى حركة الإدارة العلمية. فى حين أننا لو أمعنا النظر فى الفكر الإسلامى فى أى مجال من مجالاته الاقتصادية أو الإدارية فسنجد منهاجا متكاملا للحياة يحتوى على كل الخير الذى جاءت به النظريات المعاصرة ويزيد. ولا نرمى من حديثنا هذا أن نغبط فكرا معاصرا حقه فى الإتيان برأى اقتصادى صائب أو فكرة فى الحكم تتناسب وأوضاعه ولكن إذا كان فى الإسلام ما يحقق للمجتمع المسلم اقتصادا متميزا أو إدارة متميزة أو اجتماعا متميزا فلماذا لا نقول: ذلك هو الإسلام؟ إذن علينا أن نرجع بكل فكرة من الأفكار المعاصرة إلى الإسلام وإلى المتخصصين فى الدين الذين قال الله فيهم ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣]. وعلى علماء المسلمين فى شتى المجالات العلمية والفكرية أن يبدأوا فى دراسة الفكر الإسلامى وتبيانه للناس أولا وعندئذ سينتهى بنا المطاف إلى الانتصار لقضية الإسلام المقابلة للفكر المعاصر.

الإسلام فكر وعمل

إن الدعوة إلى الإسلام تنقسم إلى قسمين: قسم علمى يجلى للناس حقيقة رأى الإسلام فى القضايا الحياتية المختلفة وقسم آخر مطلوب من كل مسلم أن يلتزم به وهو الدعوة لقضايا الإسلام بهدف أن نهتدى بها فى تطبيقنا العملى للإسلام، بمعنى أن يلتزم كل مسلم بحمل حركة حياته على وفق ما يعلم من قضايا الإسلام - تلك دعوة واجبة بوجه خاص على كل مثقف من أبناء الإسلام وعلى كل متخصص فى مجال من مجالات الحياة المختلفة. فليست الدعوة للإسلام قاصرة على أن يقول الناس أو أن يعظ الناس، ولكن الدعوة متعدية ذلك إلى ما يفعل الناس. والأسوة بالفعل أجدى من الأسوة بالكلام وبالقول، وما كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه لينجح فى دعوة الإسلام لولا أن خلقه كان القرآن، ولولا أن سلوكه وحياته كانت أسوة حسنة لمن حوله من المسلمين وغير المسلمين ولمن جاء بعده.

إذن فالدعوة إلى الفكر الإسلامى ينبغى أن تبدأ بإثبات الإسلام فى نفوس المسلمين أولا بحيث نجعل من المسلمين طليعة حركية، ومعنى طليعة حركية، أن ننظم حياتنا على وفق مبدأ الإسلام. حين نكون كذلك ويؤتينا الله ثمار الاستقامة على منهجه

سبحانه وتعالى سعادة وأمنا واطمئنانا ورخاء سنكون فى وضع يمكننا من أن ندعو غير المسلمين إلى المنهج الإسلامى.

أما أن نبشر غير المسلمين بالإسلام ثم يرى غير المسلمين عامة المسلمين على واقع خلاف ما تقوله مبادئ الفكر الإسلامى وخلاف ما يبشر به المسلمون، فإننا نعطى غير المسلمين فكرة أن الإسلام قول يُقال لا فعل يُفعل، وعندما تنفصل الكلمة عن السلوك تصبح باهتة لا أثر لها فى النفس الإنسانية.

الدعوة ببصيرة

وإن من عناصر الداعية للفكر الإسلامى فى مجالاته المختلفة أن يدعو إلى الله على بصيرة ومعنى البصيرة شىء فوق العلم.. لا يكفى العلم بالفكر الإسلامى بل لابد أن توجد مع العلم البصيرة، وهى الشفافية الوجدانية التى تلتقط الأشياء من واقع الحياة التقاطا يلحمها بالدين فتلتحم التحاما موثقا بوجدانيات الآية ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾ [يوسف: ١٠٨][1].

إن هذه الشفافية هى التى تعطى الإنسان كثيرا من حقائق الحياة الجافة وتدخلها فى قضايا الدين. وينبغى أن يمتزج العلم والبصيرة بالعمل والتطبيق مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣] هذه دعوة مقرونة بالعمل، لأن الداعية حين يقرن دعوته بالعمل يكون شهادة منه على أنه ارتضى لنفسه المنهج الصحيح. إذن فإن ربط علم المرء فى مجال من مجالات الفكر الإسلامى بتطبيق ذلك المجال فى واقع الحياة هو الذى يجعل الإسلام عنصرا موجها لحياة الأمة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والسلوك الفردى ينبغى أن يكون صورة مصغرة لسلوك المجتمع المسلم ولا يتأتى ذلك إلا إذا توافرت الظروف الاجتماعية والسياسية التى تساعد الفرد على أن يعيش بالكيفية التى تساعد على صياغته الصياغة التى تتطلبها العقيدة الإسلامية.

إن الإسلام كعقيدة ومنهج للحياة يربط بين الروح والجسد وبين الفرد والمجتمع، فهو يخلق الفرد المسلم ولكن لابد للفرد المسلم من دولة مسلمة تنظم الحياة السياسية

---

(١) قضايا إسلامية للأستاذ محمد متولى الشعراوى ص ٣٢.

والاقتصادية والاجتماعية على ضوء منهج الإسلام. وهذا يستلزم وجود نظرية للإدارة تلائم المنهج الحياتى وتعمل كجزء من المحيط الاجتماعى للمجتمع المسلم. وغرض هذا البحث هو أن نصوغ نظرية متكاملة للإدارة فى الإسلام مستمدة من الشريعة الإسلامية ومضاهية لكل فكر معاصر فى هذا المجال ونسأل الله يهيئ لهذه النظرية واقعا اجتماعيا حيا ليعمل على تطبيقها ونموها وإثرائها من واقع التجربة والممارسة اليومية.

ينقسم هذا البحث إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول: تمهيدى ويتناول صلة الإنسان بالله ودور الإنسان فى هذا الوجود، ثم وظيفة الدولة فى الإسلام، ثم نتطرق إلى الواقع التاريخى للإدارة فى العصور الإسلامية وإلى مفهوم الوظيفة العامة فى الإسلام وحقوق وواجبات الموظف العام.

والقسم الثانى: تطبيقى يتناول جزئيات العملية الإدارية من تخطيط إدارى وتنظيمى وإدارة شئون الأفراد ومفهوم العمل فى الإسلام، ثم القيادة الإدارية والرقابة الإدارية والإدارة المحلية، ونخلص فى خاتم البحث إلى حديث عن نظرية متكاملة للإدارة فى الإسلام.

والله الموفق إلى فعل الخير

دكتور

أحمد إبراهيم أبو سن

العين فى: ربيع أول ١٤٠١هـ

الموافق: يناير ١٩٨١م